 DOI:doi.org/10.21009/JSQ.20.2.01

Cultivating the Linguistic Interpretation of 'Al-Istiwā' and its Impact on the Mu'utazili Doctrine According to Al-Zamakhshari's Tafsir Al-Kashaf

الاتجاه اللغوي لمعنى الاستواء و أثر الاعتزال فيه عند الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف

ناصر يحيى
قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإسلامية العالمية الإندونيسية
Email: nasir.yahaya@uiii.ac.id

علي إسماعيل
قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإسلامية العالمية الإندونيسية
Email: ali.samaila@uiii.ac.id

فايز شعيب آدم
قسم اللغة العربية بجامعة الدولية المفتوحة، غامبيا
Email: faiz.shuaibu@iou.edu.gm

مبارك لول عبد الغني
قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإسلامية العالمية الإندونيسية
Email: mubarak.lawal@uiii.ac.id

Article Accepted: May 15, 2024. Revised: June 07, 2024; Approved: June 16, 2024.

Abstract

Islamic thought has produced many intellectual and scientific schools, within which many personalities in different scientific fields have emerged. Al-Zamakhshari (d. 538H) is regarded as one of the most influential figures from the Mu'tazila school of thought in the history of Arab and Islamic culture. This study aims to reveal the direction and impact of Mu'tazila thought on the interpretation of verses related to Istiwa through Zamakhshari's book "Al-Kashaf" to expand the definition of the linguistic meanings presented by Al-Zamakhshari and analyze the contexts in which he dealt with this concept. The significance of this article lies in understanding the mechanisms of interpretation upon which Al-Zamakhshari relied in defending his belief by using reasoning and language to disassociate and free the Almighty from being similar or resembling the creature. The research used the descriptive-analytical approach to highlight the aspects used in al-Zamakhshari's interpretation of the concept of Istiwa. The study finds that the interpretations of the verses related to al-Istiwa Zamakhshari are purely linguistic-based interpretations, which he employs and links to the significance and context meaning according to what supports his Mu'tazili doctrine.

Keywords: *Zamakhshari; Alkashaf; Mu'tazila; Istiwa.*

ملخص البحث

إن المدارس الفكرية والعلمية الإسلامية قد حوت بداخلها العديد من الشخصيات البارزة في شتى المجالات العلمية. ويعد الزمخشري (ت 538) في تاريخ الثقافة العربية والإسلامية من أهم هذه الشخصيات من مدرسة الاعتزال. يعمد هذا البحث الكشف عن اتجاه وأثر الاعتزال في تأويل آيات الاستواء عند الزمخشري من خلال كتابه "الكشاف" بهدف توسيع تعريف الاستواء اللغوي الذي قدمه الزمخشري، وتحليل السياقات التي تناول فيها هذا المفهوم. وتتجلى أهمية هذا البحث في فهم آليات التأويل التي اعتمد عليها الزمخشري في الدفاع عن عقيدته متسلحا بسلاح العقل واللغة، وذلك محاولة لتنزيه الذات الإلهية عن المشابهة بالمخلوق. وقد سار البحث على المنهج الوصفي التحليلي لإبراز الجوانب المعتمدة في تأويل الزمخشري لمفهوم لاستواء، ومن أهم نتائج هذا البحث أن تأويل الاستواء عند الزمخشري تأويل مبني على نسق لغوي خالص، حيث يوظفه ويربطه بالدلالة والسياق في تأويل المعاني القرآنية وفق ما يناصر مذهبه الاعتزالي.

الكلمات المفتاحية: الزمخشري; الكشاف; الاعتزال; الاستواء.

المقدمة

لقد أخرج لنا الفكر الإسلامي العديد من المدارس الفكرية والعلمية التي حوت بداخلها جهابذة من العلماء الذين برزوا في شتى ميادين العلم. ويعد الزمخشري (ت 538) الذي من مدرسة الاعتزال من أهم وأبرز هذه الشخصيات في تاريخ الثقافة العربية والإسلامية، وهو عالم من علماء اللغة والتفسير، ومن يشار إليهم بالبنان في بيان إعجاز النص القرآني وبلاغته، وقد اهتم الزمخشري بالاتجاهات الفكرية والعلمية والعقلية في عصره، وقد غلبت عليه النزعة الاعتزالية إذ كان من أشد الناس مجاهرة ودعوة لمذهبه، فبطبيعة الحال أن يعمد إلى نصرة مذهبه في مؤلفاته مستندا بالعقل واللغة، ومن أبرز مؤلفاته وأشهر كتبه تفسيره الذي اشتهر بالكشاف، وهو كتاب لا يستغنى عنه إذ تم تأليفه في قالب فريد من نوعه، لما يحتوي عليه من العوامل اللغوية والدينية والبلاغية على حد سواء، ويعمد هذا التفسير إلى تحليل النص القرآني وفق مذهب الاعتزال الذي يتكئ على المبادئ المنطقية والاستدلال العقلي.

فانطلاقا مما سبق، يعمد هذا البحث إلى دراسة اتجاه تأويل الاستواء عند الزمخشري وأثر الاعتزال فيها من خلال تفسيره الكشاف بغرض إبراز مكانته العلمية، والدليل في اختيار الآية هو أنها من الآيات المشكلة التي جرى فيها الخلاف الطويل القديم بين المذاهب الإسلامية، وفهم الآليات التي اعتمد عليها في تأويلاته لمفهوم الاستواء، مناصرة لعقيدته، ومحاولة لتنزيه الذات الإلهية عن المشابهة بالمخلوق، مستندا بالعقل واللغة. وكذلك لمعرفة مدى ارتباط هذا العلم بالعلوم الأخرى. وهذا مما يساهم في تنمية

مهارة الباحث العلمية وبناء شخصيته البحثية، وقد اختار الباحث هذا الموضوع لعلاقته بالقرآن الكريم وتفسيره وبيان معانيه ودلالاته عامة، وكذلك لعلاقته بالعقيدة الإسلامية تجاه تأويل صفات الله تعالى ونبذ كل ما ليست له علاقة بجلال الله تعالى مما ينسب إليه أو ينزه منه سبحانه وتعالى، وصلته بالعقيدة واللغة على الوجه الخصوص. وكذلك رغبته في دراسة كتب التراث الإسلامية لما فيها من الدرر والفوائد التي لا زالت الأمة بحاجة إلى فكها وتحليلها وفق ما يلائم لغة العصر، وذلك خدمة لكتاب الله وخدمة للبحث العلمي.

وأما أهمية هذا البحث فإنها تظهر من عدة وجوه، وذلك أن الدراسة تتعلق بأشرف العلوم و أجلها من جهة، أي علم الكلام الذي به تستقيم العقيدة الصحيحة، ومن جهة أخرى صلة الموضوع بتفسير القرآن الكريم وبيان معانيه ودلالاته، فتفسير الزمخشري من التفاسير التي حازت شرفا بين التفاسير الأخرى، فتأثيره عال جدا مما يجعل أهمية هذا البحث في إبراز هذه الصورة من تفسيره، وذلك لأن موضوع الاستواء من القضايا الحساسية التى تتعلق بمعرفة الذات الإلهية، فبطبيعة الحال أن تعتمد نوع هذه الدراسة على المناقشات والموازنات، اعتمادا على الدليل والتعليل للوصول إلى تفسير و فهم كتاب الله سبحانه وتعالى فهما صحيحا ، والدفاع عن الشبهات والرد عنها إلى المنهج الصحيح.

واقتضت طبيعة هذا البحث اتباع المنهج الوصفي التحليلي، وذلك عن طريق تتبع السياقات التي أورد فيها الزمخشري هذا المفهوم، وتحليلها للوصول إلى النتائج ، وذلك في الآيات التي تتحدث عن استواء الرحمن على العرش، منها قوله تعالى: {ڈ ژ ژ ڑ ڑ} [سورة طه:5]، وقوله تعالى أيضا: {ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ} [سورة الرعد:2]، وقوله أيضا: {ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ} [سورة الأعراف:54]، وقال أيضا: {ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ} [سورة السجدة:4]، وقوله تعالى أيضا: {ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ} [سورة الحديد:4]، فهذه الآيات وغيرها الكثيرة تتحدث عن استواء الله تعالى على العرش، وذلك لتصحيح الدائرة اللغوية التي قدمها، علما بأن موضوع الاستواء من أكثر الموضوعات نزاعا بين الدارسين عبر الزمان على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الفكرية و العقدية. وتتبلور الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة الإجابة عن سؤالين محورين هما: ما مدى أثر الاعتزال في تأويل الزمخشري لآية الاستواء؟ وما هي آليات التأويل المعتمدة عند الزمخشري؟

وجدير بالذكر أن هناك عديد من الأبحاث العلمية التي تناولت ظاهرة من كشاف الزمخشري. فعلى سبيل المثال، سعى دراسة محمد طه محمود[1] إلى دراسة منزلة الكشاف وأهميته العلمية مع توضيح أثر ذلك في التراث النحوي. ومن نتائج البحث أن السبب وراء تعقب العلماء للكشاف هو كونه مبني على نصرة فكرة الاعتزال عن طريق الصناعة النحوية وأن المادة العلمية التي فيها تعتمد على الأسلوب التعليمي في عرض المسائل. وأما دراسة صبرينة ماي[2] فقد كانت في مبادئ الفكر الاعتزالي في تفسير الكشاف، حيث أخذت مبدأ العدل نموذجا للبحث. وأنتجت الدراسة إلى أن فكرة الاعتزال بأصولها وآلياتها التأويلية لها أثر جلي في الكشاف نقلها الزمخشري من المجال النظري إلى الجانب التطبيقي معتمدا على العقل واللغة، والمحكم، والمجاز والمتشابه. وأما دراسة فاطمة محمود السيد محمد[3]، فقد تناولت فيه دلالة الأثر الكلامي في فن الترشيح عند الزمخشري من خلال الكشاف. علاوة على ذلك، تناولت زينينة جهاد[4] أثر الفكر الإعتزالي في توجيه الدلالة عند الزمخشري من خلال الكشاف، وتوصلت الدراسة إلى أن الزمخشري مفسر ذو براعة جعل من العقل آلية للتفسير واستنباط الدلالات والتنقيب عنها. وعلى العموم تناولت دراسة يجيى الدلالة العقلية والاستدلال بها. وأما هذا البحث، فإنه يحتوي على استجابة للرؤية المشككة التى تعتقد بأن التأويل عند الزمخشري لم يكن مبنيا على نسق لغوي خالص. كما سعى البحث في إبراز الآليات التي اعتمد عليها الزمخشري في تأويلاته، بالإضافة إلى إبراز جوانب المعتمدة عنده مع أخذ السياق بعين الاعتبار، وتحديدا في الآية التي تحدثت عن استواء الله على العرش في سورة طه، أما بخصوص الإضافات التي سيقدمها هذا البحث، فإنه سيوضح لنا كيف وظف الزمخشري اللغة بشتى فروعها، وربطها بالدلالة ليؤول المعاني القرآنية وفق ما يلائم مذهبه الاعتزالي.

العرض

المبحث الأول: ترجمة الزمخشري وحياته:

1- ترجمة الزمخشري وحياته

هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري الخوارزمي. وكان يكنى بأبي القاسم ويلقب بجار الله. لقب بجار الله لأنه جاور بمكة زمنا طويلًا، وقال بعض العلماء وذلك لأنه بقي مجاورًا للمسجد الحرام في مكة المكرمة فترة طويلة من الزمن. وكان من أئمة العلم بالدين، والتفسير، واللغة والأدب، ولد في زمخشر

[1] الكشاف للزمخشري وأثره في التراث والتأليف النحو، محمد طه محمود و أ. د. إبراهيم رحمان حميد، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية 2023 (صـ20)

[2] مبادئ الفكر الاعتزالي في تفسير الكشاف للزمخشري مبدأ العدل نموذجا, صبرينة ماي، كمال قادري, مجلة الآداب والعلوم الإنسانية, 2021, (صـ207)

[3] دلالة الأثر الكلامي في فن الترشيح،كتاب الكشاف نموذجا، فاطمة محمود محمد، مجلة الأداب والعلوم الإنسانية،2023، (صـ236).

[4] أثر الفكر الإعتزالي في توجيه الدلالة عند الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف، زينية جهاد، مجلة فصل الخطاب، 2021(صـ7).

سنة ٤٦٧ هـ ، والزمخشر قرية على مسافة أربعة أميال من خوارزم[5]، وقد نشأ الزمخشري وقضى مرحلة الطفولة في هذه القرية الصغيرة، وتربى في كنف عائلة مغمورة، حيث كان والده عالمًا وأديبًا، كما أداء العلماء، عاش الزمخشري عهد الوزير "نظام الملك"، والذي كان يُعد من أزهى العصور، إذ يعود للوزير الفضل الكبير في ازدهار وتطور العلوم والآداب، و قد كان الزمخشري من كبار شيوخ المعتزلة في القرن السادس الهجري فقد كان واسع العلم ، غاية في الذكاء متقنًا في كل علم.[6] وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية من قرى خوارزم فتوفي فيها.

2- مذهب الزمخشري و أقوال العلماء فيه

كان جار الله الزمخشري حنفي معتزلي، والمعتزلة فرقة إسلامية تنسب إلى واصل بن عطاء (131هـ)، تميزت بتقديم العقل على النقل. وسموا بالمعتزلة لاعتزال مؤسسها عن مجلس الحسن البصري (110هـ)، بعد خلافه معه حول حكم الفاسق. إذ يعتقد المعتزلة أن الفاسق في الدنيا لا يسمى مؤمنًا بأي وجه من الوجوه، ولا يسمى كافرا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، والمعتزلة هم أبرز الفرق الكلامية فى التاريخ الإسلامى وقد ظهرت فى البصرة فى مطلع القرن الثانى الهجرى وقد بنوا عقائدهم على أصول خمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) عنه؛ العلامة الكبير المعتزلة النحوي وقال السيوطي **(ت ٩١١هـ)** إنه كان واسع العلم كثير الفضل، غاية في الذكاء وجوده القريحة، متقنًا في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه، ذكر العلماء أن للاعتزال أثر واضح في كتبه وتفكيره، يقول ا الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) عنه؛ محمود بن عمر الزمخشري صالح لكنه داعية الاعتزال.[7]

المبحث الثاني: عن تفسير الكشاف للزمخشري

[5] معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت،ط ٢، ١٩٩٥ م (صـ 147)

[6] طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، (صـ 315)

[7] تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)،ت: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٩٩٨ م، (جزء ٤، صـ ٥٤)

الكشاف هو التفسير المسمى بـ'الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .'وقيل أن السبب من تأليفه أن جماعة من المعتزلة كانوا يرجعون إليه تفسير بعض الآيات فيبرز لهم حقائقها فيفيدون في الاستحسان والأعجاب ثم اجتمعوا إليه مفترحين أن يملي عليهم الكشف و الكشاف.

ألف الزمخشري كتاب "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل "خلال فترة إقامته في مكة المكرمة، وهو يُعد من أوائل كتب التفسير التي تناولت موضوع بلاغة القرآن الكريم، وإعجازه اللغوي، وذلك عن طريق توضيح دقة المعنى الذي يمكن استنباطه من التركيب اللفظي للآيات، وعلى الرغم من أن الزمخشري قد اتبع منهج مذهب المعتزلة عند كتابته لهذا الكتاب، إلا أنه قد حظي بمنزلة عالية عند علماء السنة، وأئمة اللغة، فنجدهم قد أقبلوا على قراءته، ودراسته، وشرحه، والتعليق عليه، كما مدحه العديد من كبار العلماء أمثال ابن خلدون **(ت ٨٠٨هـ)** ، حيث كان يطلب من تلامذته تعلمه ودراسته، وابن خلكان **(ت ٦٨١هـ)** ، فقد وصف هذا الكتاب بأنه "لم يؤلف قبله مثله"، وأبو حيان الأندلسي **(ت ٧٤٥ هـ)** ، والذي أثنى عليه في كتابه البحر المحيط.

المبحث الثالث: اتجاه و أثر الاعتزال في تأويل الاستواء عند الزمخشري

قبل أن نخوض في صلب الموضوع، ينبغي أن نبين معنى التأويل والاستواء لكونهما من العناصر الأساسية في هذا البحث.

التأويل لغة واصطلاحا:

بالرجوع إلى أصل الاستعمال اللغوي، نجد أن معنى التأويل يدور في الاثنين، أما المعنى الأول فهو مصدر مشتق من من آل يؤول أولا وتأويلا بمعنى: الرجوع والمآل والعاقبة والعود والمصير، وعلى هذا ذهب أئمة اللغة المتقدمين كأبي منصور، يقول ابن فارس: الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه وآل يؤول، أي: رجع. قال يعقوب: يقال: " أول الحكم إلى أهله " أي: أرجعه ورده إليهم. وآل جسم الرجل: إذا نحف، والإيالة السياسة من هذا الباب، لأن مرجع الرعية إلى راعيها. قال الأصمعي **(ت ٢١٦هـ)**: "آل الرجل رعيته يؤولها: إذا أحسن سياستها."[8]

[8]معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، دار الفكر، 1979م (صـ156)

يقول الفيروز أبادي **(ت ٨١٧هـ):** "وقيل اشتقاقه من آل والمصدر منه الإيالة بمعنى السياسة، تقول العرب: ألنا وأيل علينا بمعنى سسنا وسيس علينا إذا ساسنا غيرنا"[9] يقول الزمخشري في معجمه أساس البلاغة: "أول": أول آل الرعية، أي يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة، وأول القرآن وتأوله، وهذا متأول حسن، أي لطيف التأويل، وهو مؤتال لقومه مقتال عليهم، أي سائس محتكم".[10]

والمعنى الثاني: بمعنى التفسير والبيان، وهو مصدر مشتق من أول يؤول تأويلا، يقول الجوهري: "التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء وقد أولته وتأولته تأولاً بمَعْنىً ". وعلى هذا المعنى ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم في حق ابن عباس رضي الله عنه: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.[11] يتضح لنا مما خلال ما سبق أن المعاجم اللغوية قد اتفقت على أَن لفظ: "التأويل" يستعمل في معنيين وهما المرجع، والمصير، والتفسير، والبيان. وأما التأويل في الاصطلاح: فهو العدول عن ظاهر اللفظ إلى معنى لا يقتضيه، لدليل دل عليه التفسير أو هو نقل الكلام عن وضعه وأصله السابق إلى الفهم من ظاهره في تعاريف اللغة والشريعة أو العادة إلى ما يحتاج في فهمه والعلم بالمراد به إلى قرينة تدل عليه لعائق منع من استمرار على مقتضى لفظه.[12]

1- التأويل في القرآن الكريم

لقد اتضح للباحث بعد دراسته الإحصائية أن كلمة التأويل وردت في القرآن الكريم 15 مرة، وذكر ابن الجوزي أن للتأويل في القرآن الكريم خمسة معان وهي[13]:

العاقبة : قال تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ} [سورة الأعراف:53]، أي عاقبة ما وعد الله تعالى.

اللون: قال تعالى: {ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ} [سورة يوسف:37]، أي بألوانه وأشكاله.

[9] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزي، الفيروز أبادي، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د ت)، ص 80

[10] أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري، تح محمد باسل عيون السود، ج1و2، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م، ط1، ص 39

[11] صحيح البخاري» (1/ 66 ت البغا):

[12] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ١٩٨٤م (صـ 217)

[13] المصدر السابق: (ص116)

المنتهين: {ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ} [سورة آل عمران:7]، أي ابتغاء منتهى ملك محمد وأمته.

تعبير الرؤيا: ويعلمك من تأويل الأحاديث، قال تعالى: {ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} [سورة يوسف:6].

التحقيق: قال تعالى: {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﯓ} [سورة يوسف:100].

2- التأويل في السنة:

إن التأويل في السنة النبوية تستخدم في إطار معناها اللغوي والمصير، يقول النبي صلى الله عليه وسلم التأويل بمعنى التفسير والبيان كما سبق ذكرها، كما استخدمها بمعنى المرجع والمصير،يقول القاضي محمد الإشبيلي:"ومن استعماله - صلى الله عليه وسلم - للفظ "التأويل" بمعنى المرجع والمصير قوله - صلى الله عليه وسلم – في بيان قوله تعالى: {ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ} [سورة الأنعام:65]، وذلك عندما سئل عن معناها فقال - صلى الله عليه وسلم -: "أما إنهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأتِ تَأوِيلهَا بَعْدُ" أي مآلها ومصيرها".[14]

3- مفهوم التأويل عند الزمخشري:

إن الزمخشري في كتابه الكشاف لم يضع ولم يحدد تعريفا مباشرا واضحا لمفهوم التأويل رغم كونه ضمن عنوان كتابه، ولكنه تناول المفهوم في كتابه "أساس البلاغة" حيث عرف التأويل تعريفا لغويا كما سبق ذكره، إلا أننا نجده يطبق التأويل في تفسيره تطبيقا نظريا للآيات القرآنية، ومن هنا نستطيع أن نربط مفهوم التأويل بالإيالة التي هي السياسة كما ربطها الزمخشري (538ه)، والفيروز أبادي (817ه)، وابن فارس (395ه)، وعلى هذا يكون المؤول هو الذي يسوس الكلام ويضع المعاني اللائقة في المواضع التي تناسبها مع أخذ سياق النص بعين الاعتبار، وربما السر في ذلك ما ذكره الزمخشري في مقدمة الكشاف نقلا عن الجاحظ (255ه) حيث يقول :"فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن فاق أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار، والواعظ وإن كان من الحسن البصري (110ه)، أوعظ والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه (180ه)، واللغوي وإن علك

---

[14] قَانون التَّأويْل، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، ت: محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت،ط 1، ١٩٨٦ م، (صـ232)

اللغات بقوّة لحييه لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان."[15]

من خلال ما سبق نستطيع أن نفهم أن الزمخشري قد اتخذ علمي المعاني والبيان كمركز أساسي الذي تدور تفسيره للقرآن الكريم حوله، ولذلك اشترط في المفسر أن يكون عالما بارعا في هذين العلمين كي يستطيع إدراك الدلالات الغامضة، والمعاني الخفية التي قد يحتمله النص بعيدا عن معناه الحقيقي. وكأنه يقصد بكلامه هذا أنه مؤهل للتفسير والتأويل، لأن القرآن الكريم نص يحتاج من المفسر أن يتعامل معه ليستوعب معانيه، وهذا لن يتم إلا بمعرفة علمي المعاني والبيان. وهو-أي الزمخشري- ممن يشار إليهم بالبنان في هذين العلمين. وربما هذا الذي جعل عديد من العلماء أن يعتبروا الكشاف من أهم التفاسير البلاغية، ونموذجا تطبيقيا لنظرية النظم التي وضعها عبد القاهر الجرجاني. ولذلك كان الزمخشري يعتز بتفسيره شديد الاعتزاز حتى قال فيه:[16] إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي[17]

الاستواء لغة واصطلاحا:

الاستواء لغة مصدر من استوى ولها عدة معان تختلف على حسب الاستعمال. ومن معاني الاستواء علا واستولى، يقول الرازي **(ت ٦٦٦هـ)** في مختار الصحاح:[18]" استوى إلى السماء أي قصدها واستوى أي استولى." يقول ابن منظور (ت ٧١١هـ) [19]: وقيل استوى أي استولى وظهر. ومنه أيضا تم ونضج على حد قوله: ولما بلغ أشده واستوى أي بلغ كمال قوته وعقله. وأما في الاصطلاح: فهي صفة تليق بجلاله سبحانه وتعالى على عرشه.

الاستواء في القرآن الكريم

[15] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت ٥٣٨ هـ]،ت: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، ط 3، ١٣٦٢ هـ (صـ 2)

[16] رسالتان فريدتان ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، القيروان للنشر والتوزيع، (صـ 25)

[17] البيت من البحر البسيط التام

[18] مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م (صـ ١٥٨)

[19] لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) دار صادر – بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ (صـ 245)

لقد اتضح للباحث بعد دراسته الإحصائية أن الآيات التي تحدثت عن استواء الله على العرش وردت في القرآن الكريم 7 مرات. وذلك في سورة الأعراف ويونس والرعد وطه، والفرقان، والسجدة، والحديد.

وذكر ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) أن الاستواء في القرآن على ستة أوجه وهي[20]:

العمد والقصد: {ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ} [سورة فصلت:11].

الاستقرار: {ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ} [سورة هود:44].

الركوب: {ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ} [سورة الزخرف:13].

القوة والشدة: {ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ} [سورة القصص:14].

التشابه: {ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ} [سورة فاطر:19].

العلو: {ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ} [سورة طه:5].

حاول الزمخشري بالمنطق الفكري الاعتزالي في الكشاف مناصرة مذهبه الاعتزالي في تأويله للآيات التي تحدثت عن الصفات الجسمية وفق ما يوافق عقيدته. فكان لا يأخذ بظاهر الآيات، بل كان يصرفها ويقوم بتأويل معناها وفق متطلبات ومقتضيات عقيدة المعتزلة. ومن الصفات التي نفاها وأول معناها عن الذات الإلهية تنزيها لله سبحانه وتعالى عن مشابهة الخالق للمخلوق، لأن ظاهر معنى الاستواء يفرض وجود جسم، أو وضعية معينة للجلوس، وهذا محال على الله. فكان الزمخشري يميل إلى نفي هذه الصفة وعدم إثباتها وصرفها عن ظاهر معناها وتأويلها بما يتناسب مع المقام والسياق القرآني. ويندرج كل هذا تحت أصل من أصول الخمسة عند المعتزلة، وهو أصل التوحيد الذي يقوم بنفي الذات الإلهية عن أي نوع من التجسيم والتشبيه. وقد تنوعت الاتجاهات العلمية التي سلك بها الزمخشري في كشف المعاني القرآنية، منعا لإحداث تأويلات لا تناسب المقام أو لا تتصل بالسياق العام، وهذا يدل على طول باعه في هذا المجال وسعة علمه، وثقافته الواسعة، وخلفية شخصيته.

يقول الزمخشري في قوله تعال: {ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ} {ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ} [سورة طه:6]، أي "ولما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك، جعلوه كناية عن الملك فقالوا: استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة، وقالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر".[21]

[20] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» (ص519):

[21]» تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:(52 /3) «

من خلال ما سبق نرى أن الزمخشري قد اتخذ اللغة وسيلة أو آلة لتأويل الاستواء في الآية المذكورة حيث لم يأخذ بظاهر معنى الآية، بل كان صرفها وقام بتأويل معناها على أنها كناية عن الملك، وذلك وفق متطلبات ومقتضيات عقيدته لأن ذلك أليق وأنسب بالأصول الخمسة التي لها دور كبير في تشكيل وتوجيه رؤى أهل الاعتزال في دراساتهم بشتى ألوانها وفنونها. وهذه الظاهرة تظهر جليا عند قارئ الكشاف، وهذا أمر بديهي أن يتخذ العربية بشتى فروعها وسيلة للتأويل كونه عالم بارز لغوي ملم بعلوم العربية. بالإضافة إلى أن غرضه الأساسي من الكشاف هو الإبراز عن إعجاز نظم القرآن الكريم، وهذا لن يتم إلا بمعرفة علمي البيان والمعاني.

ذكر الزمخشري في قوله تعالى: {ڈ ڈ ڎ ڎ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ} [سورة الأعراف:54]، والاستواء: الاعتدال والاستقامة. يقال: استوى العود وغيره، إذا قام واعتدل، ثم قيل: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصداً مستوياً، من غير أن يلوى على شيء. ومنه استعير قوله: (ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ) ، أى قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق ما في الأرض، من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر. والمراد بالسماء: جهات العلو، كأنه قيل: ثم استوى إلى فوق. والضمير في فَسَوَّاهُنَّ ضمير مبهم. وسَبْعَ سَماواتٍ تفسيره، كقولهم: ربه رجلا. وقيل الضمير راجع إلى السماء. والسماء في معنى الجنس. وقيل جمع سماءة، والوجه العربي هو الأوّل. ومعنى تسويتهنّ: تعديل خلقهنّ، وتقديمه، وإخلاؤه من العوج والفطور، أو إتمام خلقهنّ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فمن ثم خلقهنّ خلقاً مستوياً محكما من غير تفاوت، مع خلق ما في الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم، فإن قلت: ما فسرت به معنى الاستواء إلى السماء يناقضه «ثم» لإعطائه معنى التراخي والمهلة قلت: «ثم» هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السماوات على خلق الأرض، لا للتراخي في الوقت كقوله: (ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) . على أنه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به، لأن المعنى أنه حين قصد إلى السماء لم يحدث فيما بين ذلك- أى في تضاعيف القصد إليها.

خاتمة البحث

لا شك أنه يترتب على المفسر عدم الاقتصار على جانب واحد معين محدد في معاملته بالنص القرآني، ولكن يجب عليه الإحاطة بحيثيات النص من جميع الجوانب، وذلك من أجل الكشف على المعنى اللائق والمناسب وشرح ما غمض من اللأفاظ . وقد كانت قضية تأويل النص القرآني قضية مثيرة للجدل عند العلماء وخاصة فيما يتعلق بذات المولى عز وجل وصفاته، باعتبار النص القرني ذا خصوصية حساسية لا كغيره من النصوص. وجدير بالذكر أن للفرق الإسلامية دور كبير وأثر بالغ في إثراء التراث الإسلامي

بدراسات مستمرة عبر العصور. وتتجلى أثر هذا في علم الكلام أن الاختلافات الموجودة تكمن في الأدوات واتجاهات المعتمدة لتحقيق غاية التأويل أو التفسير، حيث هناك من مال إلى اعتماد النقل، ومن مال إلى العقل والرأي. ويجد قارئ الكشاف أن الزمخشري لم يغفل أي جانب يتعلق بالنص القرآني في تأويلاته إلا ويجعلها وفق منهجية لا تتعارض مع أصول عقيدته مستندا بعلم النحو والصرف والبلاغة مع أخذ السياق بعين الاعتبار. ويمكننا القول بعد دراستنا أن اتجاهات التأويل عند الزمخشري مبنية على نسق لغوي جديد من حيث تصوره لا من حيث موضوعه ومتنه، وذلك أن الزمخشري استطاع بفكره إدراك أسرار النظم القرآني، متكأ بالبلاغة في الوقوف على إعجازه وتأويل معانيه وفق ما يناصر عقيدته ومذهبه. وهذا بحد ذاته ظاهرة جديدة لها صلة وتيدة بتفسير القرآن، لأن الموضوعات التي تحدث بها الزمخشري في الكشاف لا تقتصر على قضايا لغوية فحسب، بل تعدت إلى قضايا عقدية. ولذلك حاول من جاء بعده من العلماء تحرير كشافه من آراء الاعتزال. فقد ألف أبي الخير البيضاوي (ت 685ه) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ويعد هذا الكتاب بمثابة تفسير مختصر عن الكشاف بترك ما فيه من الاعتزال وإثبات مذهب أهل السنة والجماعة.

المصادروالمراجع

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ه)، ط 3، 1407ه، دار الكتاب العربي- بيروت لبنان.

- معجم البلدان - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ه)، ط 2، 1995م، دار صادر، بيروت- لبنان.

- طبقات المفسرين للداوودي - محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥ه)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥ه)، دار الفكر، 1979م

- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز ، -لفيروز أبادي، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د ت).

- أساس البلاغة - أبو القاسم الزمخشري، تح محمد باسل عيون السود، ج1و2، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م، ط1

- صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط 5, 1993م، دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق.

-نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، ط 1، 1984م، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت

- قَانون التَّأوِيْل، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، ط 1، 1986م، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت

- رسالتان فريدتان ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، القيروان للنشر والتوزيع

- كشاف الزمخشري عقيدة ومنهجا، د. إبراهيم مناد: ، جامعة مستغانم،العدد السادس عشر 2016، ص 107- 125.

- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ١٩٩٩م، ط ٥.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ١٤١٤هـ ، ط ٣

- الكشاف للزمخشري ت (538هـ) أهميته و أثره في التراث والتأليف النحوي، محمد طه محمود, & أ. د. إبراهيم رحمن حميد. (2023).. *مجلة ديالى للبحوث الانسانية*, *4*(95), 219-230.

- مبادئ الفكر الاعتزالي في تفسير الكشّاف للزمخشري _مبدأ العدل أنموذجا، صبرينة ماضي, & كمال قادري. (2021)..

- دلالة الأثر الكلامي في فن الترشيح-كشاف الزمخشري نموذجًا، محمد, ف. م. ا., & فاطمة محمود السيد. (2023). *مجلة الآداب والعلوم الإنسانية*, *96*(1), 225-274.

- أثر الفكر الإعتزالي في توجيه الدلالة عند الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف، زينية جهاد، مجلة فصل الخطاب، (2021)

Yahya, N., Wibowo, W., Jasmin, S., & Marwal, M. I. (2023). الدلالة العقلية والاستدلال بها في تفسيري السعدي والصابوني.188-173 ,(2)*19*, *Jurnal Studi Al-Qur'an* .